

وتبقى النساء صامدات...

بقلم أدما حبيبي

يوم التقينَه لأول مرة أخذن بكلامه اللطيف، فجلسن نحن النسوة مع باقي الناس نستمتع بحديثه الطريف الذي كان مختلفاً عن سائر المعلمين والأنبياء أجمعين. كانت شفاؤه تفيض بما في قلبه من حنان ورقة ومحبة فجاء تعليمه مملوءاً كل حق ونعمة ورحمة.

ومرة بينما كنّ نستمتع إلى أحاديثه إذا بواحدة ترفع صوتها وسط الجمع وتطوّبه وتقول: "طوبى للبطن الذي حملك وللتديين اللذين رضعتهما." قلتُ يومها في سرّي أجل طوبى لأمه مريم التي رعت وربّت هذا المعلم العظيم يوم كان بعدُ طفلاً. لكنني فوجئت به يردُّ عليها ليقول: "بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه."

رنت هذه الكلمات في آذاننا رنيناً عذباً، أجل سمعن نحن النسوة كلام الله الذي كان يخرج من فمه ، وأخذن بتعليمه الفريد فحفظنه في قلوبنا. وهكذا رحن نتبعه من مكان إلى آخر، إذ صار هناك رابط عجيب يشدنا إليه، ولم نرتح إلا ونحن في قربه نستمتع إليه ونرى معجزاته التي كان يصنعها. وصرن نتسابق في خدمة السيد، فقدمن من أموالنا وضحيين بأوقاتنا وتركن كل شيء لكي نكون في حضرته البهية.

ولكن، كم كان ذلك اليوم مشؤوماً حين

أخذه رؤساء ديننا أنفسهم حتى الشيوخ منهم واقتادوه إلى الوالي لكي يحاكم على ذنب لم يقترفه. ولما غاب عن ناظرينا ولم نعد نستمتع إلى تعاليمه الباهرة ، أحسنن بالاككتاب يزحف إلى نفوسنا. وكأن جزءاً منا قد انسلخ عنا جميعاً. ولما تتبعن أخباره وقع خبر الحكم الجائر بالصلب علينا كوقع الساعة. فحزنن وتألمن وركضن إلى الصليب نبغي رؤية الحبيب قبل أن تختطفه يد الموت منا فلا نعود نراه. وهناك فوق تل الجلجثة رأيناه كالحمل بين أيدي الجنود وهم يعلقونه بكل فظاظة على الخشبة. ولما هم الجنود بضرب المسامير الغليظة في يديه ورجليه لم نستطع كبت صيحات خرجت من أفواهنا لا إرادية. أمّا جسد السيد فراح ينزف دماً

وكانت نفسه تعتصر ألماً. آه، أيها المعلم العظيم، لماذا يفعلون بك هكذا؟ لماذا؟ لقد جُلتَ تصنع خيراً وتشفي جميع المتسلط عليهم إبليس . أبهذا يرُدُّون جميلك وفضلك أيها الحبيب!؟

فاضت مآقينا بالدموع السخينة من كثرة الحزن والأسى ولم نعد نستطيع أن نرى بوضوح. و سمعنا نحن النسوة كلمات لم نفقه كنهها كانت تجري مع أحد اللصين اللذين صُلبا عن جانبيه. ونحو الساعة السادسة حدثت ظلمة حتى الساعة التاسعة. وبعدها انشق حجاب الهيكل من وسطه. أما الأرض التي كنَّ نقف عليها فبدأت تتزحزح، والقبور تفتحت والصخور تشققت. فخنَّ جداً وأصبنا بذعر مخيف. بعدها سمعنا صوت السيد الحبيب من بعيد يقول: يا أبتاه في يدك أستودع روحي. ولما رفعنا وجوهنا إلى فوق رأينا السيد وهو ينعكس الرأس بعد أن أسلم الروح.

آه، لكم كانت تلك الساعة حزينة كئيبة وأليمة. وأحسنا وكان قلوبنا كانت تتمزق في داخلنا. فكيف يأخذون السيد منا، وكيف يعلقونه على الخشبة وهو الذي لم يفعل إثماً ولم يرتكب جرماً. لماذا هذا الظلم وهذا الاعتداء البشع والوقح. وبينما نحن نراقب، إذا بواحد من التلاميذ واسمه يوسف يأتي ويأخذ جسد سيدي ويلفه بكتان نقي ويذهب. فلحقنا به لنرى إلى أين، فوجدناه يأخذه إلى قبر جديد كان قد نحته في الصخر. وضعه هناك في القبر ودحرج حجراً عظيماً على باب القبر ومضى. فصممنا نحن النسوة أن نشترى أطياباً وحنوطاً لتكفين السيد قبل حلول يوم السبت. وعزمن على دهن جسده أول أيام الأسبوع.

صحونا مع الفجر باكراً جداً وذهبن بسرعة إلى القبر إلى حيث كان الجسد مسجياً، وفي طريقنا سمعنا صوتاً رهيباً وتزلزلت الأرض من تحت أقدامنا، فخننا جداً وارتعبن. وأخذتن الحيرة عندما تذكرن الحجر. أجل الحجر الكبير الذي كان على باب القبر. فمن تراه سيدحرجه لنا؟ ولكن ولفرط دهشتنا لمَّا وصلن وجدنا أن الحجر مدحرج، والقبر فارغ. وهنا بدأت مريم المجدلية تبكي وتنتحب وتقول: آه لقد أخذوا سيدي. لكن أين وضعوه. ورأينا شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فزادت دهشتنا. فقال لنا: "لا تدهشن، أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام ليس هو ههنا.وهوذا الموضع الذي وضعوه فيه.اذكرن كيف كلمن وهو بعد في الجليل قائلاً: إنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم. اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. وهناك ترونه كما قال لكم."

نعم يا مريم، أجل يا سالومة، يا أم يعقوب، لقد قام السيد، قام الحبيب من بين الأموات. ورحنا نصرخ بأعلى صوتنا قام المسيح بالحق قام. ما أحلاه من خبر وما أعظمها من بشارة. وهنا خرجنا سريعاً وهربنا من القبر راكضات. وإذا يسوع نفسه لاقانا. أجل، وقال لنا سلام. فنقدمن منه وأمسكن بقدميه وسجدن. فقال لنا بأن لا نخاف. بل نذهب ونقول لإخوته أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونه.

وَعَدْنَا نركض من جديد، ولما وصلنا إلى البيت حيث كان الأحد عشر وجميع الباقين مجتمعين أخبرناهم بهذا كله. لكنهم لم يصدقوا. وتراءى كلامنا لهم كالهذيان . فقام بطرس وركض إلى القبر بنفسه فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجباً في نفسه مما كان.

نعم، لم يصدق التلاميذ كلامنا، وظنوا أننا نهذي. لقد رأينا بأم أعيننا السيد له المجد، رأينا وسجدنا له. هو بعينه لم يتغير. أجل، نحن صاحبات القلوب الضعيفة الواهنة، نحن النسوة اللاتي تبعنه في كل الطريق ولم نتركه لحظة بعد أن اخترناه وتعلمنا على يديه، تحولنا بفعل قوته إلى شخصيات جريئة لا تأبه ولا تعاب بالإهانة ولا بالخطر الذي يعترضنا. لم ننكره قط، ولن نفعل البتة. لم نخنّه قط، ولن نفعل أبداً. إنه السيد الذي مات وقام ليمنحنا حياة النصر والغلبة والقوة. نعم نحن شلة من النسوة تبعنه وخدمته، ولم نتركه أمام الصليب وحيداً. بل لحقنا به إلى القبر، وهناك أظهر لنا ذاته وقوته ومجده.

نحن النسوة صمدن طوال طريق الآلام وحتى القيامة. فبينما هرب التلاميذ الرجال ، بقينا نحن إلى جواره وكنّا آخر من يغادر مشهد الصلب في الغروب. وكنّا أول من ذهب إلى القبر في فجر القيامة المجيد. وهكذا بقين نحن النساء صامدات. قسي الجبابرة انحطمت والضعفاء تمنطقوا بالبأس. (١صموئيل ٢ : ٤)

والآن وبعد أن عرفنا جميعنا أن يسوع المسيح هو حيّ لأنه قام من بين الأموات فما هو موقفنا جميعاً منه؟ هل مازال الخوف يداهم بعضاً منا، والرعب يسيطر على البعض الآخر؟ أم أنّ الشك يراعي نفوس البعض ، وأنّ النكران موقف يتخذه البعض الآخر منا؟ هل تصمدون مثل صمودنا نحن النسوة فنتلوا بركته العظمى، وتحظوا بالحياة الجديدة المنتصرة حياة القيامة المجيدة؟

سؤال تطرحه النسوة على الجميع. ما هو موقفنا من يسوع المسيح الذي قام من بين الأموات وترك القبر فارغاً شهادة للجميع؟

التوقيع: تلميذات السيد

مريم المجدالية، مريم أم يعقوب، سالومة، و يونا ،